السكن : المظاهر الطبيعية والطبيعة

ستيف هينشليف

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

يطرح هذا الفصل عددًا من الأسئلة المتعلقة بالعلاقات البشرية وغير البشرية . ويركز على ممارسات المظاهر الطبيعية ، التي تشكل وتتشكل من خلال تلك العلاقات . في النصف الأول ، أستعرض بعض الطرق الرئيسية التي تعامل بها الجغرافيون مع العلاقات بين المظاهر الطبيعية والطبيعة . وبطريقة مبسطة ، أقسم هذه الأساليب إلى تكتونيات المظاهر الطبيعية ودلالات المظاهر الطبيعية . وبإيجاد الموارد في "التقاليد" كلتيهما ، أزعم في النصف الثاني أن هناك طرقًا للتعامل مع المظاهر الطبيعية والطبيعة التي ترفض أن ترى إما كثقافة نقية (طبيعة اللاطبيعة) أو كمادة خام (طبيعة الطبيعة). إن القصد من هذا هو تجنب أي فهم للطبيعة يختزلها في خصائص أولية (أو ثانوية) (وهو تكتيك سأشير إليه بشكل مهين كونه سياسة الطبيعة الأولى) ولكن في الوقت نفسه ، رفض محو مساحات الطبيعة من خلال قرائة جميع حالات العلاقات بين البشر/غير البشر على أنها محددة ثقافيًا بطريقة أو بأخرى . وفي بعض النواحي ، باتباع كاستري (الفصل الثامن، هذا المجلد)، أزعم أن تجنب المزالق الكلاسيكية للحتمية الطبيعية و/أو الثقافية يتطلب شيئًا أكثر من مجرد خيال تحليلي . لذلك ، في الأجزاء الأخيرة من الفصل ، أستعرض عددًا من المناهج التي تحاول أن تسكن المظاهر الطبيعية كعلاقات حية ، بكل ما فيها من اختلافات واستمرارية وانقطاعات وتكوينات متشابكة . أبحث عن إمكانيات مختلفة في الجغرافيا الثقافية ومحيطها ، بما في ذلك الدراسات العلمية والنظرية النسوية وما بعد البنيوية ، لتطوير جغرافيا حساسة للمظاهر الطبيعية والطبيعة. بدلاً من تحديد المصطلحات ، **أصبح الهدف هو إيجاد طرق لفهم المظاهر الطبيعية والطبيعة والسكن بطريقة تجريبية وإبداعية محتملة .**

وعلى سبيل الخلفية ، من المفيد أن نركز على أهمية الحجج من أجل التغيير في الطرق التي يتم بها فهم المظاهر الطبيعية والطبيعة . وإذا أردنا أن نصور الحجج التقليدية على أنها كما هي الحال الآن ، فإن الناس والمظاهر الطبيعية والطبيعة "غير مترابطة" . وفي السياسات البيئية التقليدية ، يميل هذا إلى أن يعني أنه في مكان ما وفي مرحلة ما من الماضي المظلم للمجتمع الحضري الصناعي ، انقطعت الروابط بين الناس وبيئاتهم . والهدف الضمني والصريح في بعض الأحيان هو إعادة ربط عوالم الثقافة والاقتصاد والبشر بالعوالم المكونة بالفعل للطبيعة والبيئة وغير البشر. ويمكن العثور على مثل هذه الآراء في بعض إصدارات الإقليمية الحيوية (على الرغم من أن ينظر ماكجينيس، 1999، لمجموعة من الكتابات الإقليمية الحيوية) وفي مجموعة متنوعة من البيئيين (لمراجعة ، ينظر دوبسون، 1990).

أريد أن أتجنب مثل هذا الحكم في هذا الفصل ، وأن أبتعد عن السياسة والأخلاق اللتين وجدتا نفسيهما في طبيعة أولى عالمية (أو حتى تخيل طبيعة ثانية عالمية يمكن أن نبني عليها نظاماً أخلاقياً لا يتغير). ولكن في الوقت نفسه ، هناك شيء ما في عدم التناغم يمكن أن يقدم إمكانية لأشكال جديدة من السياسة البيئية . والواقع أن الشعور بعدم التناغم الذي أريد أن أتابعه في هذا الفصل هو شعور يدعو إلى محاولات صياغة مفاصل جديدة ، وتجربة الروابط . وحقيقة أن هذه المحاولات لا يمكن أن تتم على أساس الإرادة البشرية فحسب ، تبدأ في الكشف عن ما قد تنطوي عليه سياسة السكن . فالسكن هو شأن أكثر من مجرد شأن إنساني ، وعلى نحو مماثل ، فإن السكن ليس مجرد مسألة إضافة غير البشر. والواقع أن هذا لا يتعلق "بالتفاعلات

الاجتماعية بين الأشياء المشكلة بالفعل" (راجشمان، 2000: 12)، سواء كانت بشرية أو غير بشرية أو أي هوية مجزأة أخرى .

وعلى هذا فإن الأمر لا يتعلق فقط بتمثيل عناصر المظاهر الطبيعية أو التحدث عن الآخرين أو نيابة عنهم . إن سياسة التمثيل لا يمكن أن تكون إلا البداية غير الكاملة لسياسة جديدة . إن السياسة التي نتبعها هنا تعتمد على شكلين من أشكال السياسة . أولاً ، هناك سياسة التمثيل : سياسة التعافي التي يجب أن ننخرط فيها . وهناك جغرافيات ثقافية للمظاهر الطبيعية يجب كتابتها والتي تشارك في سياسة تمثيل مختلفة - سياسة تأخذ وجود وأداء البشر وغير البشر من جميع الأنواع والأشكال والأحجام كأمور ذات أهمية محتملة . ثانياً ، هناك سياسة السكن : أكثر من محاولة لإعادة ملء صفحات الجغرافيا الثقافية بالجماهير المفقودة ، هناك دافع آخر أقل وضوحًا ليبراليًا وديمقراطيًا . هذه ليست مجرد مسألة تحرير المضطهدين (أو حتى عودة المضطهدين)، على الرغم من أن مثل هذه السياسة بعيدة كل البعد عن كونها زائدة عن الحاجة . إنها أيضًا مسألة تجريب أساليب السكن ، وهي الأساليب التي تتمكن من استعادة والتعرف دون أن تغطي كل شيء (تخترع نفسها كمفردات نهائية) ، أو تخيل أن الإدراك هو مسألة خاصة بالعقول البشرية والعقول البشرية وحدها .

إن سياسات التمثيل والسكن التي تشكل هذا الفصل ليست متعارضة ولا متنافسة . ومع ذلك ، فإن أحد الأهداف الرئيسية هو فتح مشهد طبيعي وجغرافيا طبيعية تدرك حدود التمثيل ، وبالتالي تصبح حساسة للأوامر والغموض التي تنطوي عليها عملية السكن . أبدأ بالممارسات والمعاني الخاصة بـ "المظاهر الطبيعية" كما عملت من خلالها في الجغرافيا الثقافية ، وربطها على وجه التحديد بتمثيل وأساليب السكن مع الطبيعة غير البشرية .

جغرافيات المظاهر الطبيعية والطبيعة

التكتونيات: دراسة بناء شكل المظاهر الطبيعية يمكن تلخيص علم التكتونيات في المظاهر الطبيعية ، بالمعنى الذي أستخدمه هنا ، على أنه البناء المادي للمظاهر الطبيعية . ومن بين الاتجاهات المؤثرة بشكل خاص في هذا النهج كتابات كارل ساور (1925؛ 1966) حول التشكيل الثقافي والمادي لشكل الأرض والمظاهر الطبيعية . وفي أفضل حالاته ، يسلط هذا العمل الضوء على الطرق التي يكون بها تصميم المظاهر الطبيعية دائمًا إنتاجًا مشتركًا - يشمل البشر (الثقافات) وغير البشر (الطبيعة) . في حين أن أعمال ساور السابقة كانت تميل إلى افتراض وجود مظهر طبيعي ما قبل الإنسان والذي تمت معالجته من قبل موجات مختلفة من السكان البشر، فإن أعماله اللاحقة حول المظاهر الطبيعية الثقافية نجحت في تبديد تلك التمثيلات للبرية الأمريكية كونها خالية من الإنتاج الثقافي (الأساس السردي لأشكال مختلفة من الاستعمار، بما في ذلك ، في الآونة الأخيرة ، الاستعمار الذي تم تنفيذه من خلال الممارسات الاستبعادية للحفاظ على المظاهر الطبيعية : ينظر إسكوبار، 1995؛ ويلسون، 1992).

والواقع أن ساور وأتباعه نجحوا بشكل خاص في تقديم نقطة مقابلة لتلك المفاهيم للمظاهر الطبيعية التي تسعى إلى استخلاص القيمة المعيارية من أسطورة النقاء الطبيعي ما قبل البشري . ومع ذلك ، بدا أن الحنين القوي إلى "الطبيعي" ، والذي استمر على سبيل المثال من خلال المجلد دور الإنسان في تغيير وجه الأرض (توماس، 1956) المتأثر بساور، يؤكد على شعور قوي إلى حد ما بالانقسام بين الثقافات والطبيعة ، أو على الأقل ، بين النسخ الطبيعية (النقية والموحدة) من الثقافة وتلك النسخ الحديثة الإشكالية للمجتمع الصناعي الحضري . وكان الاتجاه ، لذلك ، هو التعامل مع عملية تشكيل المظاهر الطبيعية كنتيجة للتفاعلات بين العمليات الطبيعية والثقافية - والتي تميل كل منهما إلى أن يتم تصويرها على أنها قابلة للتعريف بطريقة

ما في ، ومن خلال ، غياب الآخر كما وضح ديميريت (1994أ) ، فإن ورثة هذه النسخة "التفاعلية" من تكتونيات المظاهر الطبيعية .

موجة من مؤرخي المظاهر الطبيعية والبيئة كتبوا في الثمانينيات والتسعينيات، الذين استفزهم جزئياً النقد البيئي المتنامي للمجتمع الحديث ، إلى استعادة "الأرض ذاتها" (وورستر، 1988: 289) كونها مكوناً حيوياً ومستقلاً لتطور المظاهر الطبيعية . وبالنسبة لوورستر، فإن كل المظاهر الطبيعية هي نتاج للتفاعلات بين الطبيعة والثقافة (1990: 1144)، وأي رواية تنفي أحدهما أو الآخر سوف تفشل في تمثيل التركيبة الكاملة للمظاهر الطبيعية . ومن ناحية ، فإن وورستر محق بالتأكيد في زعزعة الافتراضات القائلة بأن البشر هم الوكلاء الوحيدون في صنع تاريخ المظاهر الطبيعية والبيئة . ولكن الخطر الرئيسي يكمن في أن العالم المادي الذي يستحضره يشبه الطبيعة العالمية التي لا تخضع لزمان أو مكان والتي يمكن الكشف عن خصائصها الأساسية أو استنباطها (ديميريت، 1994أ؛ ينظر أيضاً ديميريت، 1994ب؛ والرد من كرونون، 1994) والنتيجة هشة سياسياً .

إن الجمع بين الاهتمام بالطبيعة غير البشرية ، والذي يتم تضمينه في الوقت نفسه في روايات المظاهر الطبيعية ولكنه أيضًا "مُطبَّع" (أي أنه مستخرج من تاريخ وجغرافيات الشؤون الدنيوية) هو استراتيجية تكسب الوقت السياسي ولكن بتكلفة تتجاوز مجرد مسألة تتعلق بالدقة الأكاديمية . على سبيل المثال ، إن الطبيعة الأولى ما قبل التاريخية التي تسكن كتابات كرونون (1991) عن شيكاغو (إن لم يكن عمله الجماعي اللاحق ، ينظر كرونون، 1996، أو حتى مقدمته إلى مدينة الطبيعة (مستنيرة بالطاقة الحيوية ونموذج ديناميكي غذائي للنظم البيئية – والمرتبطة برابط سياسي واسع (ينظر ديميريت، 1994أ). لدرجة أن ديميريت يتسائل بحق عن الدرجة التي توجد بها الطبيعة الأولى كوجود وجودي سابق للتاريخ البشري : بدأت بيئة النظم البيئية كبيئة إشعاعية ، ولكن الضغط المستمر من العالم الخارجي على علم البيئة الحديث لا يتوقف عند هذا الحد .

ومن بين الاستعارة التي تصف النظام البيئي السيبرنطيقا ، الرياضيات التي تحكم وتتحكم ، والتي طورت أولاً للتحكم في المدافع الآلية والتي تستخدم الآن لتوجيه صواريخ كروز البحرية الأمريكية وبرنامج التجارة الآلية للمصرفيين السلع المؤسسيين(1994.أ: 177) ومن المهم أن نضيف أن هذا لا يعني أن هذا العلم معيب بالضرورة ، ولا يعني أن هناك إمكانية لوجود موقف آخر غير ثقافي أو منصة عرض إلهية (ينظر هارواي، 1991). بل يعني أن الطبائع التي نريد (ربما بحق) تضمينها في تاريخ المظاهر الطبيعية والجغرافيات من غير المرجح أن تكون بريئة . كما أنه من غير المرجح أن تكون متاحة كمجموعة من الخصائص الأولية غير الوسيطة (أو حتى الوسيطة) (وهي مسألة سأعود إليها) .

ومن المؤكد أن الطبيعة التي نرغب في تضمينها في تاريخ المظاهر الطبيعية والجغرافيات من غير المرجح أن تكون بريئة . يدرك كرونون تمام الإدراك ضرورة تجنب هذه الطبيعة العالمية في الوقت الذي يرغب فيه في التمسك بالمشروع السياسي للتاريخ البيئي . على سبيل المثال ، يدرك كرونون تمام الإدراك حدود علم البيئة الكليمنتسي ، مع إسقاطه للتوازن والانسجام على العالم الخارجي الطبيعي (ينظر كرونون، 1996، والفصل الذي كتبه باربور، 1996، في المجلد نفسه). ومع ذلك ، وعلى الرغم من بعض الكتابات النموذجية في هذا المجال ، ما تزال هناك شكوك ملحة في أن مؤرخي البيئة والمظاهر الطبيعية لم يقدموا بعد وسيلة للتعامل مع طبيعة المظاهر الطبيعية والتي تتجنب إما خنقها في العمليات الثقافية أو تخصيص خصائص من الدرجة الأولى ، لا زمانية ولا مكانية لها . وفي الغالب ، وعلى الرغم من أفضل النوايا ، فإن رواياتهم تميل فقط إلى تأخير اللحظة التي تعود فيها الطبيعة العالمية الطبيعية إلى القصة .

إن الأسباب العملية والسياسية لرفض أي لجوء إلى الطبيعة الأولى تتجلى بوضوح في بعض الأعمال الحديثة حول تاريخ البيئة والمظاهر الطبيعية والتي تنشأ من الدراسات في علم البيئة السياسية والجغرافيا الحيوية الجديدة (ينظر فيرهيد وليتش، 1998؛ مور، 1996؛ زيمرير، 2000). على سبيل المثال ، من خلال دراسة مفصلة وشاملة رائعة لممارسات الغابات في العديد من دول غرب أفريقيا ، يزعم فيرهيد وليتش: لم يكن لتطور الأفكار العلمية حول غابات غرب أفريقيا تاريخها الفكري وعلم الاجتماع المعقد فحسب ، حيث تمكنت بعض النظريات أو المناقشات من الظهور على الرغم من استبعاد نظريات أو مناقشات أخرى . ولكن أيضًا ، والأمر الحاسم ، كانت هذه الآراء متوافقة مع المخاوف الإدارية والسياسية للمؤسسات التي تطورت معها في عملية تشكيل متبادلة . إن الأفكار المتعلقة بتوازنات الغابات والمناخ ، أو عمل النظم البيئية للغابات المستقرة نسبيًا ، على سبيل المثال ، تغذي بشكل مباشر إطارًا مفاهيميًا ومجموعة من الممارسات العلمية للحفاظ على البيئة ، والتي كانت تدور حول التحكم الخارجي .(1998 :189) كانت نتيجة "بيئية الفهم" هذه هي ما حدده فيرهيد وليتش على أنه تبسيط وتجانس للمعرفة الحرجية . وقد أدى ذلك إلى تثمين الطبيعة الأولى (الخلاصة البيئية) التي ساهمت في حد ذاتها في تبسيط رواية إزالة الغابات . ونتيجة لذلك ، وبشكل حاسم ، ظلت "الديناميكية الاجتماعية والبيئية المعقدة وغير المتوقعة" (1998: 190) للغابات الحية خارج الفهم المصرح به .

شكل نموذج الأنظمة الطبيعية النقي إلى حد ما لديناميكيات الغابات المقياس الذي تم قياس الأنظمة الاجتماعية لممارسة الغابات عليه ، بشكل غير مواتٍ عادةً . وقد أدى هذا الاستبعاد للعلاقات بين البشر/غير البشر من الفهم البيئي لممارسات إزالة الغابات والتحريج إلى ميل إلى معاملة الأشخاص الذين يعيشون في مناطق الغابات كونهم غرباء (ينظر أيضًا هيشت وكوكبورن، 1989). ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل أصبحوا أيضًا غرباء غير مرحب بهم في أرض حيث "أصبحت" الطبيعة "وأوصياؤها الوطنيون والدوليون يطالبون بحق" (فيرهيد وليتش، 1998: 192). وتجدر الإشارة إلى أن التنديد بهذه السلطة الخارجية لخطاب الحفاظ على البيئة الحديث والاحتفال بدلاً من ذلك بالتدفق والديناميكية هو مغامرة محفوفة بالمخاطر . ففي حين يشير فيهيد وليتش إلى شكل من أشكال التعددية التشاركية التي تعترف بأهمية علاقات القوة في صنع المظاهر الطبيعية ، يتبنى آخرون لغة تبدو وكأنها تردد صدى المبالغة التي يتبناها رأسماليو السوق الحرة (ينظر ستوت، 1998).

وحتى المستوى المتنامي من الوعي فيما يتصل بالأهمية السياسية والبيئية لأشكال المشاركة في إدارة المظاهر الطبيعية قد فشل إلى حد كبير في إزاحة الأسس الأساسية وسلطة هذه السياسة الطبيعية الأولى . وتصبح المشاركة ، في كثير من الحالات ، وسيلة لتحقيق الأهداف والأغراض المحددة مسبقًا من قِبَل الخبراء (للحصول على مثال موازٍ في ممارسة الحفاظ على الطبيعة في المملكة المتحدة ، ينظر جودوين، 1998). أو تصبح وسيلة لتنظيم الناس والممارسات من حيث طبيعتهم ، وتوافقهم مع الحفاظ (زيمرير، 2000: 357)، أو ملاءمتهم كحراس أبديين لطبيعة أولى أو ثانية أزلية (ينظر إنجولد وكورتيلا، 2000، للحصول على حجة أكثر تطورًا بشأن ديناميكيات المعرفة والممارسة ، مع التركيز في قضيتهم على المظاهر الطبيعية الفنلندية). ويبدأ فيرهيد وليتش في تطوير اضطراب في الطبيعة والثقافات التي تشكل المظاهر الطبيعية لمنطقة الغابات والسافانا في غرب إفريقيا . وبعد العمل السابق الذي قام به هوثورن (1996)، لم يعد يُنظَر إلى المظاهر الطبيعية للغابات كونها متوازنة بشكل معقد ومن المرجح أن تنهار عند أدنى اضطراب ، بل كونها "تجمعًا مؤقتًا من الأنواع المزدهرة بعد آلاف السنين من الاضطراب" (فيرهيد وليتش، 1998: 185).

وما بدأ يظهر هو شعور بالمظاهر الطبيعية الحية التي لا يمكن اختزالها إما في ثقافة موجودة مسبقًا أو طبيعة موجودة مسبقًا . ولا تتعلق هذه المظاهر الطبيعية فقط بالتفاعلات بين طبيعة موجودة بالفعل وثقافة يمكن تعريفها بطريقة ما في غياب علاقاتها البشرية / غير البشرية . بل إن فيهيد وليتش يبدآن في الإشارة إلى إنتاج مشترك للمظاهر الطبيعية والثقافات والطبيعة . ومن المؤكد أن التفاصيل النظرية لهذا الإنجاز لا تهم فيهيد وليتش كثيرًا . ولكن ، لكي يتمكنوا من تصور روايات بديلة ، يتجاوز المؤلفون تاريخ المظاهر الطبيعية الساويرية (وهو التقليد الذي لا يرون أنفسهم ينتمون إليه صراحةً) إلى مجموعة ثانية من الاستجابات العامة لسؤال المظاهر الطبيعية . وكما يشير عنوان كتابهما ، إعادة صياغة إزالة الغابات ، فإن المظاهر الطبيعية ليست مجرد شأن تكتوني ، بل هي أيضًا طريقة للرؤية وموضوع للدلالة . وسأنتقل الآن إلى هذه المناهج .

الدلالة : دراسة بناء معاني المظاهر الطبيعية

إذا كان من المعتاد التعامل مع "الطبيعة"، و"الثقافة" ، كونهما أمورًا غير إشكالية في تاريخ المظاهر الطبيعية والبيئة الثقافية ، فإن مثل هذه الراحة لم تكن متاحة للجغرافيين في هذا التقليد الثاني . لقد تحول المشهد الطبيعي ، ككائن أو شكل ، إلى واحد من بين العديد من "طرق الرؤية" (ينظر بيرجر، 1972)، وفي حالات أخرى ، كونه واحدا من بين عدد من النقوش النصية المحتملة و أوصاف المعنى . في ما أصبح الآن نقدًا مألوفًا ومستهلكًا للنهج السويري في التعامل مع شكل المظاهر الطبيعية ، أبرز الجغرافيون الذين سعوا إلى نزع الصفة الطبيعية عن المظاهر الطبيعية كونها طريقة للرؤية ميلًا إلى تبني نهج تاريخي وجغرافي محدد لدراسة المظاهر الطبيعية دون نقد . وفي الوقت نفسه ، أبرز الجغرافيون الذين استكشفوا استعارات المظاهر الطبيعية كونها نصًا لوسائل تاريخية وسياسية وثقافية التي تُكتب وتُقرأ المظاهر الطبيعية من خلالها (ينظر دنكان، 1995). وفيما يلي ، أتعامل مع التقليدين كأمثلة على محاولات تفسير المظاهر الطبيعية وإنتاجها وإعادة إنتاجها . وينصب التركيز مرة أخرى على مساحات الطبيعة التي تسمح بها هذه التحليلات أو تنتجها . إن تحديد ميتشل لما يسميه طريقة "اللقاء" في رؤية المظاهر الطبيعية والسرديات البيئية لـ "التاريخ الغربي الجديد" هو مثال حديث على نهج تفسير المظاهر الطبيعية يعكس دور الموضوعات البصرية : ترتبط تمثيلات المظاهر الطبيعية بـ "طريقة" معينة لرؤية المظاهر الطبيعية تفهمها على أنها شيء موجود دائمًا بالفعل ، شيء يمكن مواجهته ببساطة (بدلاً من بنائه بنشاط). (1998: 9، التأكيد مضاف) .

نظرًا للصراعات التي تميز التاريخ والجغرافيا الاستعمارية لأمريكا الشمالية ، فمن المحتمل أن يكون أكثر إثارة للدهشة أن يتم الاحتفاظ هنا بتقليد التعامل مع المظاهر الطبيعية كونها "أمرًا واقعًا" ، أي كائنًا موجودًا مسبقًا . فكما يؤكد ميتشل ، "إن الغرب هو صورة للمظاهر الطبيعية مشحونة بالمعنى السياسي (ناهيك عن أكثر من 150 عامًا من التصوير الشعبي) لدرجة أن الأماكن الحقيقية التي بنيت عليها تلك الصور لا تبدو ذات أهمية" (1998: 12). وسأعود بتفصيل إلى "الأماكن الحقيقية" التي تحدث عنها ميتشل في وقت لاحق من هذا القسم . وفي الوقت الحالي ، سأتناول "لقاء" المظاهر الطبيعية كحقل رؤية غير إشكالي من أجل استخلاص بعض آثارها على الحياة البشرية وغير البشرية .

كان ذلك إلى حد كبير من حيث الاستجابة السلبية لمعالجة المظاهر الطبيعية كونها "وحدة خالدة الشكل" (كوسجروف، 1984: 16)، ومن خلال قراءة إيجابية لمجموعة واسعة من الكتابات في الدراسات الثقافية ونظرية الأفلام ونقد الفن ، لجأ الجغرافيون الثقافيون إلى "تفسير المظاهر الطبيعية ليس كونها نتيجة مادية للتفاعلات بين المجتمع والبيئة ، والتي يمكن ملاحظتها في الميدان من خلال نظرة الجغرافي الموضوعية إلى حد ما ، بل كونها **نظرة تساعد في حد ذاتها على فهم علاقة معينة بين المجتمع والأرض**" (روز،

1993: 87) ، أكثر من مجرد علاقات مادية بين المجتمع والأرض ، فإن المظاهر الطبيعية تنشئ طرقًا معينة للملاحظة الدنيوية والتمثيل . وبالاستناد إلى ملخص لو وبينشوب (1997) لأنواع العلاقات التي تشكلت جزئيًا من خلال إنسانية عصر النهضة في إيطاليا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، يمكن وصف هذه الأنماط بالطرق الاتية (اقتباسات مباشرة وعبارات مقتبسة من لو وبينشوب، 1997: 160-161؛ ينظر أيضًا كوسجروف، 1985):

المراقب

- هو نقطة (تتشكل من خلال قواعد المنظور) حيث يتم رسم الأمور معًا (نقطة متماسكة ونقطة تماسك)
- هو نقطة غير متضمنة في العالم الذي يراقبه
- هو نقطة إلى حد ما في علاقة تحكم مع العالم (يمكن إعادة ترتيب التصوير لإعادة تمثيل عوالم أخرى).

وفي الوقت نفسه ، **فإن العالم**

- منفصل عن المراقب
- هو حجم يحتوي على أشياء وهو ثلاثي الأبعاد وإقليدي في طابعه
- موجود قبل تصويره ، في انتظار الاكتشاف
- يحتوي على أشياء منفصلة تمر عبر الزمن باستقرار أو اختلافات كبيرة ، والتي يمكن تفسيره من حيث تفاعلات الأشياء والاصطدامات وما إلى ذلك
- لديه حاجة إلى السرد ، إلى القصص التي تسلط الضوء على شخصية ونزوح الأشياء في العالم .

وأخيرًا، **التمثيل**

- **توضيحي** : فالعالم ورواياته موجودة بالفعل ، ولكنها ببساطة تتطلب تصويرًا . وبينما توجد فروق دقيقة وغير دقيقة في تقاليد المظاهر الطبيعية (على سبيل المثال ، بين الممارسات الأوروبية الجنوبية والشمالية : ينظر ألبرز، 1989؛ لو وبينشوب، 1997) ، فمن الممكن أن نقترح أن هذه الطريقة في الرؤية كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بافتراضين رئيسيين . أولاً، كانت هناك إمكانية لوجود "موضوع" أنيق ومتمركز. ثانيًا، يمكن أن يوجد "كائن" صلب أنيق بنفس القدر، وإن كان منفصلاً وربما تابعًا . والآثار المترتبة على ذلك على الأنظمة البشرية/ غير البشرية كثيرة . قدم كوسجروف ملخصًا مفيدًا : يبعدنا المشهد الطبيعي عن العالم بطرق حاسمة ، ويحدد علاقة معينة مع الطبيعة وأولئك الذين يظهرون في الطبيعة ، ويقدم وهمًا بعالم يمكن أن نشارك فيه بشكل شخصي من خلال دخول إطار الصورة على طول المحور المنظوري .

ولكن هذا مدخل جمالي وليس مشاركة نشطة مع الطبيعة أو الفضاء الذي له حياته الخاصة .(1985 : 55) بعبارة أخرى ، يتم تنفيذ التسوية أو التقسيم من خلال فعل تأطير المشهد الطبيعي (إعداد ، كما يمكن أن نضيف ، الظروف الضرورية لطريقة "اللقاء" في الرؤية). يمكن تمييز الموضوع البشري ، أو نوع معين من الموضوعات البشرية ، بشكل مثالي عن الكائن الطبيعي . ورغم أن هذا العمل التقسيمي بعيد كل البعد عن أن يكون تمريناً كاملاً ، كما سأستغرق وقتاً لإثبات ذلك في وقت لاحق ، فإنه مع ذلك يساهم في تثبيت بعض علاقات القوة بين البشر وبين العوالم البشرية وغير البشرية (بالنسبة للأولى ، ينظر Cosgrove, 1985; Daniels, 1989; Mitchell, 1996; Rose, 1993 وبالنسبة للأخيرة ، ينظر Fitzsimmons,

1988; Hinchliffe, 2000a; Latour, 1993; Whatmore, 1999). إن تكوين ومنح حقوق الإنسان (والمعنى السياسي للمصطلح ذو صلة أيضاً) ، وغربتهم عن الأشياء البشرية وغير البشرية ، يوفران إطاراً لسلسلة متكررة من أعمال التطهير (ينظر Latour, 1993).

إن كون المرء موضوعاً جيداً (سياسياً وجمالياً وعلمياً) يعني أن يكون بعيداً قدر الإمكان عن الأشياء التي كان "يحدّق" فيها . وقد أسهم إضفاء الطابع الذكوري على الملاحظة وتأنيث (وإضفاء الطابع العنصري) على الطبيعة (أو المرصودة) في إيجاد طريقة للرؤية ، أو نظرية معرفية حديثة ، والتي تلائمت بشكل أنيق مع سياسات التمثيل (من حيث التوضيح والاقتراع) . والاعتقاد بأن هذا الاغتراب حدث ، في مرحلة ما من مراحل الحياة ، يعني قبول شكل من أشكال الحداثة ـ بحكايتها (الذكورية) البائسة عن التفتت الحتمي والفشل الرومانسي . ولكن سرديات الخسارة يجب أن تكون خارج الموضوع . فالأمر المهم هو العمل السياسي الذي يمكن أن تنتجه ممارسات الرؤية (وأحياناً بمساعدة أساطير الحساسية الحديثة أو الموضوع) . على سبيل المثال ، بعض أشكال النظرة العلمية هي ممارسات معرفية ما تزال تعمل على تعزيز جوانب هذا التقسيم (ينظر هارواي، 1989؛ لاتور، 1993؛ ستافورد، 1993).

إن إحدى نقاط هذه الطريقة في النظر إلى إنتاج المظاهر الطبيعية هي تطوير شكل من أشكال نقد الإيديولوجية . وهو يهدف إلى نزع الصفة الطبيعية عن هذا اللقاء ، وإظهار إقصائه وخداعه . وهو يهدف إلى تسليط الضوء على التوزيعات السياسية التي تتم من خلال أعمال التقسيم بين الموضوعات والأشياء ، والبشر الخالصين والآخرين ، والثقافات والطبيعة ، والمراقبين والمُراقبين ، والعلماء وتجاربهم (ينظر لو وبينشوب، 1997). ومن بين الوسائل المنتجة بشكل خاص لتسييس هذه المظاهر الطبيعية التركيز على ممارسات الدلالة التي ساهمت في إنتاجها وإضفاء طابع تاريخي عليها . ففي معرض تعليقه على تكوين المظاهر الطبيعية في إنجلترا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وخاصة وضعها المنهجي للعمل الزراعي على خلفية الريف الخلاب ، اقترح ويليامز أن المظاهر الطبيعية تهتم بتوفير علاقة تحكم بين أصحاب الأرض وعمالها . ويستمر في اقتراح أن تصميم المظاهر الطبيعية يعني التمييز بين الخارج والداخل - أولئك الذين يمكنهم التصور والتنبؤ (الغرباء) وأولئك الذين يعيشون في المشهد (والذين هم أقل احتمالاً لتصور المكان والفضاء بأي شكل من الأشكال) . بالنسبة لويليامز، "البلد العامل لا يكون أبدًا منظرًا طبيعيًا . إن فكرة المظاهر الطبيعية ذاتها تعني الفصل والملاحظة" (1973: 120). لا شك أن ويليامز يبالغ في تقدير الأمور هنا ، وسأعود قريبًا إلى هذا التقسيم الإشكالي بين العمل والمشاهدة ، لكن النقطة التي مفادها أن تصميم المظاهر الطبيعية متورط في العلاقات الاجتماعية للملكية والسيطرة والممتلكات ومجموعة من العلاقات الزمنية والمكانية ، والتي يتم استحضار بعضها بدقة من خلال المعاني المتعددة لكلمة "التوقع"، هي نقطة جيدة (كوسجروف، 1985؛ هيرش، 1995).

بالإضافة إلى نزع الصفة الطبيعية عن المظاهر الطبيعية من خلال إظهار بنائها كواحدة من عدد من طرق الرؤية ، فإن المناهج السيميائية تكتسب أهميتها حقًا عندما يُفهم أن معاني المظاهر الطبيعية تتشكل من خلال قراءة الموضوع لترتيب من العلامات (وإعادة تمثيل تلك المعاني بشكل متزامن من خلال الأفعال التي تدعو إليها وتحددها) . بهذا المعنى ، يبدأ فهم المظاهر الطبيعية كترتيب نصي للعلامات . إن التحليل النصي للمظاهر الطبيعية يكمن في إبرازه للبناء المتبادل للذاتيات والموضوعيات (للحصول على معالجة واضحة ، ينظر كيرت، 1994). يتم أخذ الإشارات من قرائة شائعة لفوكو والتي تمكن من إعادة بناء سلسلة من الأشكال . تصبح المظاهر الطبيعية ، مثل غيرها من الأمور، نتاجًا لعدد لا يحصى من التخصصات والوفود . وفي الوقت نفسه ، في حال بدا هذا وكأنه إعادة صياغة لشكل من أشكال الحتمية البنيوية ، يتم تصوير الموضوعات

على أنها متورطة في صياغة المظاهر الطبيعية بطرق تسمح بسياسة مستقبلية ومعيارية للمقاومة واللعب والتخريب (بارنز ودونكان، 1992) .

يتم تسليط الضوء على المشاركة لسبب إن الأهمية التحليلية للنصية هي في المقام الأول وسيلة لتعطيل عالم من الموضوعات والأشياء الأنيقة (دون، كما يجب أن نضيف ، تدمير إمكانية التعامل مع الذوات) . إنها وسيلة للابتعاد عن الأسلوب التحليلي الذي يتحدث عن لقاءات مع المظاهر الطبيعية ، أو يتحدث عن تفاعل البشر وغير البشر مع بعضهم البعض . بل إن النصية تعزز الشعور بالتداخل بين الذاتيات والموضوعات . وتعبر بيريل كيرت عن الموضوع الجماعي على هذا النحو : **إن الطرق التي "نختبر" بها العالم مرتبطة بانخراطنا بـ "العالم" المعني . والتداخل هو النصية .**

النصية... تحليلية تعمل على لفت الانتباه إلى استحالة وعبثية محاولة تعريف شيء ما (بعض الحجج أو الحياة أو أي شيء آخر) كما لو كان حاضرًا بذاته ومكتفيًا بذاته تمامًا - كما لو أن العالم يتألف من حقائق ، كما تقول الكليشيهات ، "تتحدث عن نفسها" . وبالتالي تعمل النصية على إزعاج أي حجج مبنية على التمييز بين "الحقيقة" و"الخيال"، و"الخطابي" و"الواقعي ."(1994 :36) إن خدعة النصوص أسهل قولاً من الفعل . والواقع أن استخدامها في الجغرافيا الثقافية نجح في بعض الأحيان في زعزعة الانقسامات بين الموضوع والموضوع ، ولكن من أجل إرساء تمييز ثابت مماثل بين "النصوص" وقرائها (المثقفين).

وكانت روز سريعة في الإشارة إلى ما تعرّفه بأنه رغبة ذكورية دائمة في الحصول على موضوع تحليلي قوي المظهر: إن الاستعارة النصية تهدف إلى تثبيت الاضطرابات وإظهار التعلم والحساسية : فالمظاهر الطبيعية النصية تجعل معرفة الجغرافيين شاملة . وهي تعمل كمثال آخر على انعدام الأمن الجمالي في الجغرافيا .(1993 :101) وبالتالي ، فحتى لو تم إبعاد عدد كبير من مواضع الموضوع عن مركزها من خلال النصية ـ وهو ما يشير ـ على نطاق واسع ـ إلى أنها لم تعد تتمتع بامتياز كونها أصل أو مصدر للمعنى ـ فمن المفارقات **أن الجغرافيا الثقافية ظلت منصة يمكن الوقوف عليها ورؤية المظاهر الطبيعية النصية والبين نصية** (ينظر ـ أيضًا بورغيس، 1990، للحصول على مثال مبكر لاعتراض جغرافي على هذا الشكل من النخبوية).

كما علق كيرت ، مرة أخرى، بذكاء (ينظر ـ أيضًا هينشليف، 1996، على هذا التناقض التحليلي في استعارات التكنولوجيا كونها نصًا) : الشيء المثير للاهتمام هو أن الكلمات تغيرت (لم تعد ـ الموضوع / الموضوع ، بل القارئ / النص) ولكن الخصائص والقوى المنسوبة على طول "خط الصدع" ـ للثنائية ظلت كما هي . (1994: 42) . باختصار، كان هناك شيء من الميل إلى إعادة إنتاج نهج "نحن وهم" للمظاهر الطبيعية والنص . وكان هذا العمل المستمر من التقسيم (ينظر كوبر، 1997) موضوعًا لتدخلات نقدية مختلفة من التيارات النسوية والماركسية للجغرافية الثقافية . وقد استعان التيار الأول بالمناهج التحليلية النفسية والنظرية البصرية للتأكيد على التناقض بين المراقب والمُراقب والتداخل بينهما . على سبيل المثال ، فإن "المتعة والقوة العاطفية التي قد توفرها المظاهر الطبيعية" (ناش، 1996: 149؛ ينظر أيضًا روز، 1993) تعطل أي شعور بأن الموضوع المُشكَّل مسبقًا (سواء كان ملاك الأراضي في الريف الذين ينتقدهم ويليامز في أيديولوجية ، أو جغرافي المظاهر الطبيعية) يمكنه أن يقف حقًا ، بعيدًا ، عن المشهد .

إن المظاهر الطبيعية إذن أمورا عاطفية ، وعاطفية تتألف من ممارسات مجسدة للمراقب تمامًا كما هي بالنسبة للعاملين الرومانسيين في ويليامز . فبدلاً من الداخلين والخارجين في ويليامز، أصبحنا جميعًا مصممي مظاهر طبيعية الآن (على الرغم من أن القدرة على تصميم المظاهر الطبيعية وقوى المظاهر الطبيعية ما تزال غير متساوية). يبدأ النقد المستوحى من النسوية للميل إلى إضفاء طابع موضوعي على

النصوص نفسها في إعادة تجسيد المشهد . ويستند جزء كبير من بقية هذا الفصل إلى هذا المشروع . ولكن قبل أن أستمر في هذا السياق ، أحتاج إلى قول شيء ما عن النقد الإنتاجي الثاني لتقليد المظاهر الطبيعية كنص مستمد من مشاركة مستوحاة من الماركسية . إذا كان علماء الجغرافيا الطبيعية قد نجحوا جزئيًا في إبعاد الموضوع عن مركزه (تلك النقطة التي يُقال إن المعنى قد تجمع فيها) ، وركزت الانتقادات النسوية على الميل إلى إبعاد أنواعا معينة من الموضوعات عن مركزها ، فإن الانتقادات الماركسية كانت تميل إلى التعبير عن الخوف من إبعاد الموضوع عن مركزه .

إن استعارة المظاهر الطبيعية كونها نصًا يُشتبه في أنها في بعض الحالات ، وفي حالات أخرى ، يُشتبه في أنها تجرد العالم من صبغته المادية . وينشأ القلق من مساحة أثيرية من النصوص ، "نوع من الثقافة الخالصة" (كيرت، 1994: 25) ، والتي تتطلب التكميل ببعض أشكال الإنتاج المادي . على سبيل المثال ، تتناول دراسة ويليمز براون (1997) النظرية الأدبية لما بعد الاستعمار لتفكيك المظاهر الطبيعية في غابات كولومبيا البريطانية . إن المسألة خارج النص في إنتاج المظاهر الطبيعية تتضح في رواية ويليمز-براون لنصوص رحلات الجيولوجي جورج داوسون في القرن التاسع عشر (بما في ذلك المسوحات والمذكرات والصور وما إلى ذلك). وتعد الأخيرة منخرطة في تأطير مادي للعالم ، حيث يتم تفكيك الطبيعة واحتلال الأراضي الأصلية (وهو أسلوب شائع في بناء البيئة الاستعمارية والاستعمارية الجديدة). ولكن قبل أن يبدأ هذا يبدو وكأن داوسون كان عقلاً في وعاء (ينظر لاتور، 1999ب) ، أو أن "نصوصه" كانت مجرد نتيجة لعالم لغوي بحت من النصوص الأخرى . يلفت ويليمز-براون الانتباه بحق إلى المادية الموزعة لإنتاج المظاهر الطبيعية : لم تخترع مسوحات داوسون ومجلاته الأشياء والمظاهر الطبيعية في رحلات خيالية . كانت هذه ممارسات مادية انخرطت في عوالم مادية . إن الدراسات الاستقصائية ، في تجسيدها للمظاهر الطبيعية ، قد بنت من خلال ما صادفته مشهدًا منظمًا يمكن قراءته . ولم تكن مثل هذه الممارسات مجرد نصوص ، بل كانت مادية للغاية ؛ ولم تترك الأرض دون مساس . بل إنها بدلاً من ذلك عملت بنشاط على إزاحة المظاهر الطبيعية وإعادة وضعها داخل أنظمة جديدة من الرؤية ، وداخل أنظمة القوة والمعرفة التي سمحت في آن واحد بأنشطة معينة وسهلت أشكالاً جديدة من الحكم. (1997: 16، التأكيد مضاف)

دافع ويليمز براون بوضوح عن نهج مادي للإنتاج الثقافي ، ودافع عن فهم أداء النصوص في إعادة الإنتاج المادي للمظاهر الطبيعية (حتى نهج دعاة الحفاظ على البيئة في كولومبيا البريطانية في القرن التالي). ومع ذلك ، في تركيزه على الإنتاج الثقافي ، لا يبدو أن المادية التي يستحضرها المؤلفة ترقى إلى أكثر من ركيزة يمكن نقش المعاني عليها . إن كانت هناك وساطة في هذه الروايات فإنها تفشل في الابتعاد كثيراً عن الثقافات المادية التي يؤمن بها داوسون وخلفاؤه . فالطبيعة تميل إلى الظهور كبقايا ، كشيء يتم مواجهته ، وإدراجه في الشؤون الإنسانية ، وإعطائه معنى من خلال الممارسات المادية للكتابة والوصف . وتظهر الطبيعة والمادية في هذه الرواية ، ولكن على الرغم من الرغبة في تقديم المشهد كونه أكثر من مجرد شأن إنساني (وبالتالي إنقاذ الطبيعة والموضوع من ثقافة خالصة) ، فإن الشك ما يزال قائماً بأنهما لا يرقيان إلى مستوى المطلوب .

هناك مشكلة مماثلة تتعلق بجهاز شائع يستخدم في الجغرافيا الثقافية بعنوان "**دائرة الثقافة**" (ينظر بورجيس، 1990؛ جونسون، 1986؛ سكوير، 1994). إن الدائرة ، التي تركز الاهتمام التحليلي على إنتاج واستهلاك معاني المظاهر الطبيعية ، وتنظر إلى الإنتاجات الثقافية الخاصة (مثل المظاهر الطبيعية والنصوص التي يفحصها ويليمز براون) كونها لحظات في عملية واسعة النطاق ، تشجع الباحثين على الانخراط في ما يسميه جونسون (1986) "**الأفعال**" - وهي أمور لا يتم تحديدها من خلال النقوش النصية الموجودة . ومع

ذلك ، يتم التعامل مع النقاء خارج النص للأفعال ، مثل الصفات خارج النص للمواد في كولومبيا البريطانية ، على أنها شيء من البقايا التي تُركت دون استكشاف في هذا النموذج من الإنتاج والاستهلاك الثقافي .

إن هذا التراكم المتبقي من المواد والأحداث خارج النص ، على ما يبدو، يشكل مشكلة أقل بالنسبة لتلك التحليلات المستوحاة من الماركسية والتي تملأ الفراغ بسرد للإنتاج الاجتماعي للمظاهر الطبيعية . بالاستعانة بالنظريات الماركسية لقيمة العمل ، يتم إنتاج المظاهر الطبيعية من خلال الممارسات الدلالية وكذلك علاقات العمل التي "تتجسد في أي مظهر طبيعي" (ميتشل، 1998: 18). على سبيل المثال ، سعى ميتشل إلى الجمع بين نظريات التمثيل ونظريات الإنتاج ليس فقط من أجل تقشير طبقات المعنى المتراكمة ولكن أيضًا "التنقيب عن العمليات ، بما في ذلك عمليات العمل ، التي دخلت في إنتاج الشكل الفعلي للمظاهر الطبيعية" .(1998: 21) يبدو أن هذا مشروع يستحق العناء ، خاصة إذا استمر فهم النصوص في حجب المواد (على الرغم من أنني أشرت وكما سأجادل أدناه ، فإن هذا ليس بالضرورة هو الحال).

ولعل الأهم من ذلك هو أن يسمح هذا المشروع باستعادة أشكال الوكالة التي عادة ما تكون محجوبة عن ممارسات تصميم المظاهر الطبيعية . والواقع أن كتابات ميتشل (1996) عن العمال المهاجرين وإنتاج المظاهر الطبيعية تساهم في سلسلة من المشاريع السياسية التي تتعلق بالصراعات حول التمثيل . ومع ذلك ، فإن مشروع ميتشل يميل إلى إعادة إنتاج التمييز بين الذات والموضوع تحت ستار آخر. وباختصار ، وعلى الرغم من بعض الاحتجاجات على العكس من ذلك ، فإن مشروع ميتشل ينتهي ، مثل المؤرخين الذين ينتقدهم ، إلى إعادة إنتاج انقسام قوي بين العمل البشري وغير البشري ، وفي نهاية المطاف بين الثقافات والطبيعة . وعلى سبيل المثال ، عندما يستشهد ميتشل باستحسان بكتابات ريتشارد وايت حول إنتاج الطبيعة من خلال العمل المجسد ، فإنه يميل إلى التأكيد على العمل البشري . وفي القيام بذلك ، فإنه يغفل عن إحساس وايت (1996) المثير للاهتمام المحتمل بالإبداع في العلاقات بين البشر وغير البشر. إن ما يتم استعادته من غموض المظاهر الطبيعية هو حس إنساني صارم بالوكالة .

المظاهر الطبيعية ، سواء كانت منتزهًا إنجليزيًا ، أو منظرًا من فيلا إيطالية ، أو معسكر عمل زراعي في كاليفورنيا ، أو السهول التي تشكل المناطق الداخلية من شيكاغو، أو سلم أسماك نهر كولومبيا، هي مكان مُصمم لشخص ما ، بواسطة شخص ما. (ميتشل، 1998: 22، التأكيد في الأصل) هناك مشكلتان هنا . أولاً، يظل الافتراض قائمًا بأن المظاهر الطبيعية يمكن قراءتها مرة واحدة وإلى الأبد . في حين أن ثنائية الموضوع / الموضوع وكما قبلت ، فإن مثل هذه القراءات مفيدة استراتيجيًا من حيث إعادة تمثيل الأغلبية الصامتة - حيث يتم التعبير عن نقد الإيديولوجية نفسها كمسألة تتجاوز الممارسات الدنيوية . كما قال واتمور، "تشترك مثل هذه الروايات في ميل إلى إعفاء نفسها من اللحظة التمثيلية ، من خلال المطالبة بشكل مختلف بمراسلات مميزة بين المفهوم والموضوع ، والمنطق والعملية" (1999: 24).

ثانيًا، في وضع المظاهر الطبيعية والقوة كوظائف لقصدية الموضوعات البشرية الواقعة تاريخيًا ، هناك ميل لإخلاء المظاهر الطبيعية كما عاشها . بعبارة أخرى ، تُركنا بشكل متناقض مع شعور ضعيف بالمظاهر الطبيعية والوكالة . لا ينبغي بطبيعة الحال أن نتهم ميتشل بكتابة تواريخ وجغرافيات بلا دماء ، ولكن من خلال كشفنا عن المشهد الطبيعي الحقيقي، الذي تم إنتاجه من خلال علاقات العمل المختلفة ، فإننا نعود إلى نظام مسبق للأشياء حيث يصعب إعادة تصور مكان لأنظمة بشرية / غير بشرية مختلفة . وعلى الرغم من جودتها المذهلة ، يمكن قراءة المظاهر الطبيعية لميتشل كونها شؤونًا مغلقة ، حيث يبدو أن تاريخها وجغرافيتها تتبع مسارات محددة (ينظر ماسي، 1999أ، لتوسيع دقيق لهذه الحجة فيما يتعلق بالأشكال السائدة للسياسة التقدمية) .

ولكي نكون واضحين ، لا يعني هذا إنكار أهمية السلطة ، أو التعبد ، أو العمل ، أو حتى الإيديولوجية في إنتاج المشهد الطبيعي . ولا يعني أيضًا إفراغ المجال من الالتزام السياسي . بل يعني ذلك أن الصياغات الحالية تبدو وكأنها تعتمد على سياسة معينة للتمثيل وشكل معين من أشكال السكن . باختصار، هناك ميل إلى التعامل مع تنوع العوالم غير البشرية وتعايشها على أنها في أفضل الأحوال مسألة ذات أهمية سلبية فقط ، ثم التعامل معها بمصطلحات تستبعد التعددية بجسم طبيعي عالمي (في شكل تحولات من الطبيعة الأولى إلى الطبيعة الثانية ، أو حتى إلى الطبيعة الثالثة : ينظر لوك، 1996؛ وينظر واتمور، 1999، للحصول على نقد) . في النصف الثاني من هذا الفصل ، أريد أن أعمل على إيجاد معنى آخر للمظاهر الطبيعية ، وهو المعنى الذي يمكن أن يكون أكثر انفتاحًا على الاختلافات والتعايش بين البشر وغير البشر.

السكن في المظاهر الطبيعية جغرافيًا

إذن ، كيف نتجنب الحتمية الطبيعية أو الثقافية التي يبدو أنها تنبع من بعض الأعمال التي راجعتها حتى الآن ؟ كيف يمكن تخيل المساحات غير البشرية والانخراط فيها دون جعلها تجريديات خالدة ولا مكانية ؟ كيف يمكننا تجنب تركيز معنى وقيمة المظاهر الطبيعية على بشر معينين و/أو على البشر وحدهم؟ في هذا القسم أحاول أن أجد بعض الإجابات الجزئية لمثل هذه الأسئلة من خلال التركيز على ما قد ينطوي عليه سكن المظاهر الطبيعية بنجاح . ولكي أكون واضحًا ، فإن السكن الذي أريد أن أطرحه ليس مريحًا كما قد يبدو للوهلة الأولى . وكما ذكرت في البداية ، لا توجد خطة واضحة يمكننا أن ننسجم معها ، ولا يوجد انسجام يمكن التكيف معه . **فالأمور أكثر ديناميكية** مما يوحي به نموذج التعديل هذا (ينظر بوتكين، 1990؛ زيمرير، 1994). فمن ناحية ، فإن سكن المظاهر الطبيعية البشرية وغير البشرية من شأنه أن يؤدي إلى تغييرات في جميع الأطراف (وإن كان ذلك بمستويات متفاوتة وبدرجات مختلفة). وكما ذكرت في البداية ، فإن جميع مجموعات المظاهر الطبيعية ستظل غير مترابطة إلى حد ما . وهذا ليس شعورًا بالسكن يمكن أن يأمل في تغطية جميع القواعد وإنتاج مظهر طبيعي شامل يمكن اختزاله في منطق أو مخطط واحد . وبهذا المعنى ، **فإن استيطان المظاهر الطبيعية سوف ينطوي على علاقات متبادلة ، ولكن ليس بالضرورة الاعتماد المتبادل**.

ولكي أتمكن من تطوير هذا الشعور بالمظاهر الطبيعية المتصلة ـ وإن كانت متباينة ـ فإنني أريد أن أستكشف إلى أي مدى يمكن لفهم المظاهر الطبيعية كونها ممارسة نصية أن تعيد تنشيط سياسة السكن . وقد يبدو التركيز على النصوص مخالفاً للحدس ، وخاصة في ضوء الميل في الجغرافيا الثقافية الحديثة إلى الحديث عن المواد والأجساد وغير البشر وما إلى ذلك كونها أموراً غير نصية أو خارج النص . ولكن كما زعمت فإن مثل هذا التمرين على رسم الحدود سريع للغاية وينطوي على مخاطر كبيرة ، وخاصة إذا ما تُركنا إلى حد كبير حيث بدأنا ، مع وجود انقسام مؤجل بين الطبيعة والثقافة (وهو أمر يبدو لي متوطناً في المناهج التكتونية والسيمائية التي استعرضتها حتى الآن) . والهدف من الحجة هنا هو أن نقترح أنه في حين قد تكون هناك أسبابا وجيهة للشك في النماذج النصية ، فإنه من المهم سياسياً وفكرياً مع ذلك تجنب المزالق القديمة . لذا ، قبل الانخراط في بعض المناهج الرئيسية التي حددتها لتطوير سياسات استيطان المظاهر الطبيعية ، أود أن أشير إلى نقطتين . أولاً ، بدلاً من الجدال من أجل تقليل النصوص ، يمكن متابعة النصوص بالفعل من أجل العمل الذي تقوم به في إنتاج عالم صالح للسكن وعاطفي . ثانياً ، هناك حاجة إلى تحديد المزيد قليلاً من أنواع الأنشطة أو الممارسات التي يُفهم أنها نصية .

دعوني أبدأ بهذا الانقلاب على الاعتراض المعتاد على معالجة الجغرافيا الثقافية للمظاهر الطبيعية والطبيعة . نحن بحاجة إلى المزيد وليس أقل من النص . الاعتراض المعتاد ، وخاصة من بعض أشكال

التحليلات الماركسية ومن أنصار البيئة ، هو أننا **نحتاج إلى القليل من النصوص والمزيد من العوالم** . على سبيل المثال ، في استخدام دائرة الثقافة ، يصادف المحللون لحظات ، أو يرغبون في العثور على لحظات ، عندما يكون هناك شيئًا أو عملية ما تقع خارج نطاق كتابة النص ووصفه - وهي لحظات "غير محددة" من قِبَل التركيبة النصية الحالية . ولقد أشرت في أعلاه إلى أنني متعاطف مع مثل هذا النهج ، كما أنني أشك في أي شيء يتصور أن العالم مبني ومفسر من قِبَل البشر، ومن أجل البشر، ومن خلال البناءات اللغوية وحدها (وهو ما ينتقده واتمور بحق كونه "الصبغة المعجمية السائدة للتحول الثقافي" 1999: 29). ومع ذلك ، وكما لاحظ لاتور (2001)، فبمجرد استخدام عبارة "غير محددة" ، هناك ميل إلى العودة إلى مهمة التوزيع بين ما يقوله البشر وما يفعله بقية العالم .

وبالتالي فإن الهدف في النصف الثاني من هذا الفصل هو رفض مثل هذه العملية التحليلية . لذا ، فبدلاً من البحث عن الأشياء الموجودة خارج النصوص ، يصبح الهدف هو اكتساب فهم لكيفية تمكين النصوص (ربما من بين وسائل أخرى) مما يسميه لاتور "التعلم ... للتأثر" . بالنسبة لاتور، فإن أنشطة الكتابة والوصف في العلوم المختبرية والعلوم الميدانية ليست منتجة للعلماء ذوي المعرفة فحسب . إن التعلم للتأثر هو أيضًا مسألة التعامل مع عالم يصبح أكثر تمايزًا مع تقدم الفهم . يجب أن يكون الأمر واضحًا ، هذه ليست مجرد مسألة الانسجام مع عالم موجود مسبقًا (تفسير يعيد ببساطة تجميع الثنائيات القديمة) ولكنها وسيلة يمكن من خلالها للبشر وغير البشر أن يضيفوا إلى العالم . لذا ، عندما يصف لاتور نصية الرائحة من خلال مجموعات الروائح في صناعة العطور، والتحسين التدريجي لقدرة المختبرين على التمييز بين العطور، فإنه يلاحظ كيف "يتم اكتساب أجزاء الجسم تدريجيًا في الوقت نفسه الذي يتم فيه تسجيل نظرائهم في العالم بطريقة جديدة" (2001: 2). وعلاوة على ذلك ، يزعم أن هذا ليس مجرد وسيلة يجد بها المختبرون كلمات للإشارة إلى العالم

ستكون هذه لعبة محصلتها صفر والتي يربطها الكثيرون بالتمثيل النصي ، أو بشكل أكثر دقة ، الاستيلاء اللغوي ، على العالم . بدلاً من ذلك ، في تعلم التأثر - في اقتراحات النطق - فإن الأجسام والأشياء والكلمات كلها لديها الإمكانية لتصبح أكثر مما كانت عليه قبل بدء النطق . لذا ، بالنسبة لعلماء الاجتماع العلمي ، لا ينطوي الثنائي البشري- غير البشري على شد وجذب بين قوتين متعارضتين ، على العكس من ذلك ، كلما زاد النشاط من جانب واحد ، زاد النشاط من جانب الآخر. (لاتور، 1999ب: 147) بعبارة أخرى ، يبتعد هذا النوع من الحسابات عن النصوص كونها ممثليه وتتجه نحو الشعور بالنصوص كونها عادات ، ووسائل لإقامة الروابط . وفي القيام بذلك ، نزعزع الاعتقاد الشائع بأن الكائنات البشرية تتمتع بالمعرفة وأن الأشياء (غير البشرية) تشكل ببساطة ما هو معروف (أو ينتظر أن يُعرف) ، والعلاقة أقل انحيازًا . على سبيل المثال ، عندما يزعم هايلز أن انقراض الأنواع "يقلل من مجموع المعرفة عن العالم" (1995: 58) ، فهذا ليس لأن الكائنات الحية التي تنتمي إلى هذا النوع لم تعد متاحة للدراسة ، بل لأنه "يزيل من جوقة الخبرة بعض الأصوات التي تعبر عن ثراء وتنوع العالم" (1995: 58؛ ينظر أيضًا أبرام ، 1996، لمحاولة تحويل هذه الظاهراتية للحواس إلى أخلاقيات بيئية ، وتحفظاتي على هذا المشروع في خاتمة الفصل).

وهذا يقودني إلى النقطة الثانية . ربما يكون نموذج النص الذي بدأت في استحضاره هنا مؤهلاً مفيداً للنموذج الذي يشير إليه كيرت (نموذج التداخل) ، ولكنه يختلف بالتأكيد عن النموذج الذي ورثته الجغرافيا الثقافية ، في الأساس ، من الدراسات الثقافية والأدبية . إنه نسخة من النصية التي تنخرط في العالم وتحييه بدلاً من إغراقها . تضع المنظرة النسوية إليزابيث جروز تمييزاً كبيراً بين نموذج نصي مغلق ومفرط في الترميز تربطه بفهم ديريدا للنصية ، ونموذج نصي أكثر تميزاً ، كما تزعم ، للحس المفتوح للنشاط النصي لدى دولوز . وسأزعم أن النموذج الأخير هو الذي يوفر الموارد اللازمة لسكن المظاهر الطبيعية (ينظر أيضاً

ديفيز، 2000). بدلاً من نموذج ديريدا للنص كونه نسيجًا ، كنسيج متشابك - والذي ينتج مساحة مغلقة ومخططة من التداخلات المكثفة ، نموذج نصي مُصاغ بالكامل - وهو نموذج يكتسب قوة كبيرة في الخطابات المعمارية والحضرية ، يمكن قرائة النصوص ، بشكل أكثر انسجامًا مع دولوز، واستخدامها ، كأنماط من الفعالية والعمل ، والتي ، في أفضل حالاتها ، تشتت الأفكار والصور في روابط مختلفة أو محاذاة جديدة دون تدمير ماديتها بالضرورة . من الناحية المثالية ، تنتج شدات غير متوقعة ، ومواقع غريبة من اللامبالاة ، واتصالات جديدة مع أشياء أخرى وبالتالي تولد تحولات عاطفية ومفاهيمية تطرح إشكالية ، وتتحدى ، وتتجاوز الأطر الفكرية والبراجماتية القائمة. (جروز، 1995: 7–126)

كما آمل أن أظهر، فإن أخذ هذا الشعور الأخير بالنصية جنبًا إلى جنب مع الأجسام العاطفية لدى لاتور يوفر إمكانيات لتوسيع بعض اهتمام لاتور بالمخططات البشرية إلى حد كبير وأنشطة صنع العالم (وإن كانت تعتمد على أنشطة غير بشرية) ، ويأخذنا إلى حد ما إلى تطوير جغرافيات ما بعد البشرية . وكما سأقترح أيضًا ، سيكون من الضروري استخلاص ما ينطوي عليه عالم لاتور المتأثر وارتباطات ومحاذات جروس من أجل وضع هذا النموذج النصي في سياسات المظاهر الطبيعية التي أتحدث عنها . أريد أن أتابع هنا ، في الوقت الحالي ، فكرة أننا نحتاج إلى المزيد من النصوص (أو الوصلات) بدلاً من القليل منها من أجل أن نتأثر، ويجب أن نفهم النصوص كأفعال يمكنها أن تنتج روابط ولكنها لا تنتجها بالضرورة ، تشكل معًا الأساس للتفكير أكثر في المظاهر الطبيعية والطبيعة والسكن .

في الأقسام الفرعية الاتية ، أستخدم الإطار الإيحائي الذي قدمه جروز ولاتور لتقديم ثم تحديد ما قد يكون متضمنًا في نهج إشاري مادي لسكن المظاهر الطبيعية . سيكون التركيز هنا على القيود المفروضة على النهج التحليلي المفرط في علم العلامات ، لذا في القسم الفرعي الأخير، أستخلص ما قد ينطوي عليه علم العلامات التجريبي أو الترابطي ، الذي يتماشى أكثر مع نموذج جروز النصي .

"السيمياء المادية"

تُستخدَم "السيمياء المادية" بفعالية كبيرة في كتابات لاتور وهارواي وآخرين (ينظر أكريتش ولاتور، 1992، للحصول على مقدمة مفيدة وهارواي، 1992، للحصول على شرح). ويُستخدَم المصطلح للتأكيد على أن المعنى ، بعيدًا عن كونه محصورًا في الثقافة الخالصة المرعبة ، يتعلق بالترتيبات المادية بقدر ما يتعلق بالكلمات على الصفحة . بالنسبة إلى واتمور، على سبيل المثال ، فإن السيمياء المادية هي وسيلة لتوسيع "سجل السيمياء إلى ما هو أبعد من اهتمامه التقليدي بالدلالة كونها ترتيبًا لغويًا ، إلى جميع أنواع "حاملي الرسائل" غير المنطوقة والعمليات المادية ، مثل الأجهزة الفنية والأدوات والرسومات والقدرات الجسدية والعادات والمهارات" (1999: 29). تركز السيمياء المادية على الطرق التي يتم بها بناء المعاني المستقرة من مجموعة واسعة من الأفعال والفاعلين ." إن الانجذاب إلى أولئك الذين يعملون في مجال دراسات العلوم التقنية والذين كانوا حتى وقت قريب مهتمين بالطرق التي يتم بها إنتاج الأنظمة المستقرة (مثل الحقائق العلمية والكفاءات التكنولوجية) واضح . إن العوالم تُبنى من خلال الربط الناجح إلى حد ما بين العوالم الأخرى ، وكلما كانت الروابط أطول وأكثر قوة ، كلما كان البناء أكثر استقرارًا (على الرغم من أن مونرو، 1997، وهينشليف، 2000أ، لانتقادات هذه المعادلة بين الطول والقوة).

من حيث فهم المظاهر الطبيعية ، نبدأ في فتح جغرافيا للعلاقات المتشابكة . وبهذا المصطلح ، لم تعد المظاهر الطبيعية مجرد شؤون إنسانية (قراءة تستند إلى تقسيم أساسي بين الذات والموضوع) . إن علم العلامات المادية يمكِّن بشكل كبير من التعرف على الأوقات والأماكن البشرية وغير البشرية وأدوارها في

التكوين المشترك للعوالم . إن هذا النهج : يعترف بسلاسل الترجمة من مختلف الأنواع والأطوال التي تنسج الصوت والرؤية والإيماءة والرائحة من خلال جميع أنواع الأجسام والعناصر والأدوات والتحف الفنية – بحيث لا يستنفد التمييز بين الحضور والتمثيل البوصلة وإمكانية السلوك الاجتماعي أو يعطيه معنى . (واتمور، 1999: 30)

إن علم العلامات المادية والشبكات وممارسات النسيج كلها مهمة لسياسات السكن . فهي تبدأ في تنشيط فهم أهمية الأفعال البشرية وغير البشرية في صنع العوالم (والفضائيات التي تتضمنها هذه الأنشطة). وعلى نحو مماثل ، فإنها تبدأ في زعزعة الانقسامات بين الحضور والغياب وتبدأ في اقتراح درجة من الانفتاح على الممارسة . ومع ذلك ، فإن هذا الانفتاح ليس واضحًا دائمًا في مجموعة الأعمال المتنامية التي تطلق على نفسها نظرية شبكة الفاعلين .(ANT) في الواقع ، هناك خطر (ليس متأصلاً بأي حال من الأحوال ، ولكن بالنظر إلى الطريقة التي تم بها تشغيل قدر كبير من نظرية شبكة الفاعلين ، على وجه الخصوص ، ينظر انتقادات لي وبراون، 1994، ولو، 1999أ - خطر حقيقي) أن بعض العناصر الأكثر بنيوية وشمولية في النهج السيميائي يمكن أن تظهر مرة أخرى في التحليل (وفقًا لمصطلحات جروز، هذا هو جزئيًا خطر نموذج نصي مُدرج بالكامل في السيميائية).

قد يكون جزء من المشكلة هو الطريق الذي عبره علم السيميائية المادية إلى هذا المجال من الجغرافيا . تبنى هارواي ولاتور وأكريتش جميعًا نهج ومصطلحات أ. ج. جريماس (بما في ذلك نشره لمصطلح "الفاعل") . كما يشير لينوار، فإن علم العلامات عند جريماس هو "علم علامات تجريدي ، لا تاريخي ، بنيوي يهدف إلى البحث عن منطق للثقافة ، واقتراح تفسير بنيوي من حيث الأنظمة" (1994: 122)، وحتى تقليص النصوص إلى هياكل بيولوجية عميقة . من المؤكد أن "قواعد العالم" لهارواي تختلف كثيرًا عن علم الوجود عند جريماس . لكن لينوار قلق من أن تبنيها للعديد من عناصر عمله ، بما في ذلك "الفاعلون ، والسرد، والمربع السيميائي" (1994: 132) ، يتطلب إثباتًا أكثر صرامة لكيفية تجنب حتميته البنيوية .

ومثل لينوار، أفترض أن الهدف من الانخراط في علم العلامات هو تجنب "شبكات الأدوار الفعلية والوظائف الموضوعية ... [و] الشكلية القاحلة" (1994: 136) . بل إن الأمر يتعلق بإبراز الحوادث والطوارئ ، والأنشطة المجسدة والمتوضعة ، فضلاً عن الاتساق والانتظام ، التي تشكل المظاهر الطبيعية . ولتحقيق هذه الغاية ، يتم التعامل مع طوبولوجيا الشبكة المقيمة في علم العلامات المادية بطرق أكثر انفتاحًا على نحو واضح ، مع التأكيد على استخدامها النشط والعملي (وبالتالي بعيدًا عن الاستخدام الكامل) في الفعل "التشبيك" (ينظر واتمور، 1999)، أو يتم استكمالها بطوبولوجيات أخرى .

الهدف هو فتح التحليلات لتلك الجوانب من تنسيق الحدائق وغيرها من أشكال التنظيم التي ليست إدارية وشاملة للغاية والتي تظهر الوعي بعدم الحضور وكذلك الحضور في المظاهر الطبيعية . تشمل الأمثلة استخدام مول ولو (1994) للاستعارات السائلة ؛ واهتمام لو (1999ب) بالنار؛ جذور الفاعلين عند لاتور (1999أ) ؛ لعبة مهد القطة عند هارواي (1994؛ 1997؛) المساحات الفارغة عند هيثرنجتون ولي (2000). يمكن عد كل ذلك محاولات للتخلي عن ذلك الاتجاه لنظرية شبكة الفاعلين لتكون الكلمة الأخيرة (ينظرلي وبراون، 1994، لأحد البيانات الأولى في هذا الصدد).

بعبارة أخرى ، هناك وسائل مختلفة لتصور طرق السماح بمساحة للاختلاف في ممارسات تنسيق الحدائق . إن مثل هذه المساحات ضرورية إذا أردنا أن نتجنب بعض الإفراط في الكتابة والثقة المفرطة ، على سبيل المثال ، في علم العلامات الخاص بالمظاهر الطبيعية أو التحليلات الماركسية . وفي الوقت نفسه ، وعلى الرغم من أن بعض هذه الإثارة قد تم إنشاؤها من خلال انشغالات ومشاكل ANT المتأخرة (مقارنةً

بمشاركات النسوية وما بعد البنيوية مع الآخر) ، فإن هيثرنجتون ولي (2000) يقترحان أن الاتجاه الشامل للنظرية الاجتماعية أكثر انتشارًا . ويقترحان أن "التحول العلائقي" الحالي في الكتابة الجغرافية معرض لخطر احتلال مساحة سياسية مماثلة للإصدارات السابقة من ANT . على سبيل المثال ، تميل النظرية العلائقية إلى افتراض "أن جميع العناصر، بغض النظر عن وضعها الوجودي الواضح ، منفتحة على الارتباط ببعضها البعض" .(2000: 173) يزعم هيثرينجتون ولي أنه على الرغم من أن النظرية العلائقية تمكنت من الابتعاد عن النسخ التي تركز على الإنسان من النظرية الاجتماعية ، وبالتالي توفر أساسًا لمواجهة "أنطولوجيا الانقسام" (2000: 174) (بين ، على سبيل المثال، الموضوعات البشرية والأشياء غير البشرية)، إلا أنها تفعل ذلك فقط من خلال بناء أنطولوجيا أخرى مقيدة بشكل مماثل . ففي التأكيد على أن جميع العناصر قد تكون مرتبطة بشكل محتمل ، يُفترض وجود قاسم مشترك ، "حيث يتقاسم جميع الفاعلين قابلية للقوة ، وهي قابلية توفر الأساس الذي يمكنهم من خلاله أن يصبحوا مرتبطين مع بعضهم البعض" (2000: 173-4).

بالنسبة لهيثرينجتون ولي ، إذن ، يظل التشابه المتبقي في الجغرافيات العلائقية . وعلى الرغم من الحديث عن الانفتاح والاختلاف وإمكانية التغيير (التغيير الذي لا يشكل جزءاً من مستقبل مقدر: ينظر ألين، 1999) ، فإن القواسم المشتركة الأولية ، أو أنطولوجيا القوة ، تجعل "من الصعب أن نرى لماذا ينبغي أن يكون هناك تغيير على الإطلاق" (2000: 174) . وباختصار، نحن بحاجة إلى الابتعاد عن "الاستعداد للتنظيم بحكم الصفات الإنسانية المشتركة [أنطولوجيا الانقسام] أو الاستعداد للارتباط من خلال القابليات البشرية/غير البشرية [أنطولوجيا القوة]" (2000: 174). وبدلاً من ذلك ، **تغير سؤال النظام الاجتماعي من سؤال عن الخصائص المشتركة أو القابلية للعلاقة إلى سؤال عن كيفية صياغة العلاقة على الإطلاق** . (2000: 175)

إن الإجابة عن مثل هذا السؤال تكمن ، بالنسبة لهيذرنغ ولي والفيلسوف ميشيل سيريس ، في سيميائية مختلفة حيث لا تساهم العناصر الحاضرة فقط في بناء المظاهر الطبيعية للنظام . فهناك شيء آخر في النظام الناتج يفلت من التوصيف كونه عنصراً ضرورياً لهذا النظام ، ولكنه مع ذلك لا يوجد بالضرورة خارج النظام (وبالتالي لا يحتاج إلى إدخاله "داخلاً" من خلال سياسة تمثيلية تقليدية). وهذه العناصر الأخرى ، التي لا تبالي دستورياً بوضعها في النظام ، والتي يمكنها أن تؤدي الاستقرار فضلاً عن التغيير داخل النظام (يستخدم المؤلفان المهرجين في لعبة الورق ، والرقم صفر في الرياضيات والملائكة كأمثلة على هذه الإمكانية) ، تسمى أشكالاً فارغة . وبدلاً من تمثيل غياب الحضور في المظاهر الطبيعية أو النظام ، فإن الأشكال الفارغة تفعل العكس تماماً . إنها أشكال تمثل غيابات حاضرة . إن هذه العناصر، كما يزعم المؤلفان ، حيوية للغاية لعملية التنظيم ، ولكنها لا تُجر بسهولة إلى اقتصاد العلامات التمثيلية . وفي الوقت نفسه ، ربما تكون طبيعتها غير الأرضية إحدى الطرق (وإن كانت ، كما سأقترح في القسم الفرعي الأخير، ليست الطريقة الوحيدة) لإنقاذ دراسات المظاهر الطبيعية من ميتافيزيقا الحضور، وبصورة خاصة ، من الوجود الأرضي (غير المتصل باليابسة) والإقليمي (وهي السمة التي يربطها إيريجاري، 1997، بنهج ذكوري ورومانسي غريب في التعامل مع الفضاء والمكان والمظاهر الطبيعية ؛ ينظر أيضًا ثريفت، 1999).

على الرغم من ادعاءاتهما ، فإن فكرة هيثرينغتون ولي تشبه إلى حد كبير سياسة الاختلاف التي تشكل جوهر بعض نسخ الجغرافيا العلائقية . ويبدو لي أن هندسة القوة التي وضعتها ماسي ، على سبيل المثال ، لا تنحصر في وجود القوة . في الواقع ، وبدون استخدام اللغة نفسها ، تصر ماسي على استكمال العلاقة بانفتاح على النوع نفسه من المفاجأة وعدم اليقين الذي يثير فضول هيثرينجتون ولي: إن العلاقة بين المكان وانفتاحه تعني أن المكان يحتوي دائمًا أيضًا على درجة من غير المتوقع ، وغير القابل للتنبؤ. بالإضافة إلى النهايات المفتوحة ، يحتوي المكان أيضًا دائمًا على عنصر من "الفوضى" (من غير الموصوف بالفعل من قبل النظام)

ـ إنها "فوضى" تنتج عن تلك المقارنات العرضية ، وتلك الانفصالات العرضية ، والطابع المتناقض غالبًا للتكوينات الجغرافية التي تتشابك فيها ، على وجه التحديد ، عدد من المسارات المتميزة ، وتتفاعل أحيانًا .

بعبارة أخرى، **فإن المكان "مضطرب" بطبيعته**. (1999ب: 37، التأكيد مضاف) إن ماسي وهيذرينجتون ولي يقدمون معاً تذكيرات مهمة بالحدود التي تفرضها السياسة التمثيلية . إن السياسة المتعلقة بالمظاهر الطبيعية لا يمكن أن تهتم ببساطة بإيجاد الجماهير المفقودة وجذبها ، وذلك لأن هناك دوماً عنصراً غير متوقعة في السلوك العملي المتمثل في تنظيم أو خلق الفضاء . والفارق هو أن ماسي تجذبنا إلى هذا الإدراك السياسي دون اللجوء إلى مجموعة من الشخصيات التي قد يُنظَر إليها كونها شخصيات غير دنيوية وغير مبالية سياسياً . وكما أزعم في القسم الفرعي الأخير، فإن هذا الشعور بالطوارئ العملية (حتى داخل أكثر أنظمة التنظيم نجاحاً) يساعد في توضيح ما قد ينطوي عليه الأمر من سياسات تتعلق بسكن المظاهر الطبيعية .

التجارب والارتباطات

لقد رسمت الآن أمثلة لمحاولات للحفاظ على شعور بالاختلاف في سرديات تنظيم العوالم . وبالنسبة لسياسة تتعلق بالسكن والطبيعة ، يبدو هذا جذاباً . إن الأمر يتعلق فقط بذلك الشعور بالمفاجأة والغرابة ، أو حتى "حس الفكاهة المستقل" (1991: 199)، وهو ما يتطلبه السكن الإيجابي في المظاهر الطبيعية (ينظر الشكل 10.2). ومع ذلك ، وإلى حد ما ، تظل هذه التخيلات الجديدة للنصوص معنية في كثير من الحالات بأسلوب معين من السكن ، فهي معنية بالبناء . والواقع أنه من علم التكتونيات (دراسة كيفية بناء الشكل)، إلى علم العلامات (دراسة كيفية بناء المعنى) ـ ثم إلى النصوص من مختلف الأنواع ـ كان الاهتمام ظاهرياً منصباً على تفسير بناء العوالم . وحتى مع المحاولة لإفساح المجال للاختلاف ، وبالتالي تجنب السياسة التمثيلية الفجة ، فإن استعارة البناء ما تزال قائمة .

المشكلة هي أن التمسك باستعارة البناء ينطوي على خطر العودة إلى نظرة أكاديمية أكثر تفصيلاً ومعرفة . أو لنقل هذا بطريقة أخرى ، في حين أن أشكال وعناصر المظاهر الطبيعية قد تتغير، فإن شكل المعرفة قد يبدو ثابتًا بشكل ملحوظ (ينظر هينشليف، 2000ب). ربما لا يكون هذا أكثر من مجرد مجازفة في عمل هيثرنجتون ولي . من المؤكد أنهما يذكران القراء كثيرًا بأن المشروع ليس مشروعًا لتمثيل من كانوا غير ممثلين سابقًا . ولا شك أن هذه الجغرافيات تبدأ في فتح إمكانيات لاتصالات وإبداعات جديدة. ومع ذلك ، يبدو أن هناك فرقًا بين بناء الاختلاف في سرد العالم ، وقبول الاختلاف كجزء من الممارسة الجارية وتغيير ممارساتنا المعرفية إلى ما هو أكثر من مجرد مجازفة .

إن الدرس الأكثر أهمية هنا هو أنه على الرغم من الحديث عن عدم التحديد والطوارئ ، فإن هناك حاجة إلى بذل المزيد من الجهد إذا كنا نريد أن نوقف الميل إلى إعادة نقش الانقسام بين الفكر وأشكال الممارسة الأخرى (ما أسماه نابير "الإثارة الفكرية المنفصلة"، 1992: 65، والتي يمكن إنتاجها عندما نعطي الحياة لأشياء غامضة). إحدى الوسائل للقيام بذلك هي أن نأخذ على محمل الجد نموذج ديلوز للنصية ، والذي يتجه منذ البداية نحو التجريب النشط ، ولا يعمل تحت وهم المحاسبة السلبية . والواقع أن **التجريبية** عند ديلوز تنطوي على رفض أي تحركات فلسفية تتطلب الصوفية أو غير المرئية أو الغائبة كوسيلة لنقد المعرفة أو التفكير التقليدي (راجمان، 2000: 18). وعلى خطى وايتهايد ، سعى دولوز إلى إيجاد الظروف التي يمكن في ظلها إنتاج شيء جديد من خلال "وضع ثقتنا ليس في بعض التجاوزات أو الأوردوكسا ، بل في العالم الذي ينبع منه التفكير ويصبح فيه فعّالاً" (2000: 45). وهذا لا يعني أنه بالاستغناء عن الفراغ أو الملائكة أو الشخصيات الصوفية الأخرى ، فإننا نترك عالماً يمكن معرفته بسهولة (ينظر وجهة نظر ماسي أعلاه).

والواقع أن الهدف ليس معرفة عالم حيث تتحرك العناصر الافتراضية بسرعة كبيرة بحيث لا يمكن فحصه واعياً أو تفسيره من منظور الشخص الثالث عن كثب" (كونولي، 1999: 24؛ ينظر أيضاً ثريفت، 2000ب). إن ما هو حاسم ، وما قد تفشل الملائكة والفراغات في التأكيد عليه ، هو ضرورة التخلي عن بعض الأمتعة التحليلية والتجريب : لإنتاج ، بعبارة أخرى ، "علم العلامات الذي يكون بيانياً أو خرائطياً بدلاً من أن يكون رمزياً أو أيقونياً ، وتشخيصياً لاحتمالات أخرى بدلاً من أن يكون تنبؤياً أو تفسيرياً" (راجشمان، 2000: 67).

باختصار، هناك مناصرة **للتحول في طرق المعرفة ، من "معرفة ماذا" إلى "المعرفة الكيفية"** (أو، وفقاً لمصطلحات لاتور، "التعلم من أجل التأثر"). وكما اقترح توصيف ثريفت (1996؛ 1999؛ 2000أ) لما أسماه التحول غير التمثيلي في العمل الفكري ، فإن دولوز ولاتور وجروس ليسوا وحدهم في الحث على التحول بعيداً عن محاولات مطابقة العوالم والكلمات . وعلى نحو مماثل ، هناك مجموعة كاملة من الأعمال في الدراسات النسوية (ينظر جروس، 1995؛ بروبين، 1996)، وعلم النفس (باتيسون، 1973؛ نيومان وهولتزمان، 1997؛ شوتر، 1993) والفلسفة وعلم الأعصاب (كونولي، 1999؛ فاريلا، 1999) والتي تحثنا على القيام بشيء آخر غير تقديم روايات عن الطرق التي يتم بها تنظيم العوالم أو بنائها.

ومع ذلك ، وعلى الرغم من خطر إغلاق الكثير في هذه المرحلة ، دعوني أبرز بعض التجريبية التي أثارت اهتمام دولوز من بين بعض الطرق الأخرى التي تم بها رفض استعارة البناء في النظرية الاجتماعية . بالاستعانة بمقال هايدجر "البناء، السكن، التفكير" (1971: 145-161)، يعارض عالم الأنثروبولوجيا إنجولد السكن بالبناء ، كوسيلة لتسليط الضوء على فكرة مفادها أن البشر يعيشون في وسط العالم، وليس في مواجهة العالم (وجهاً لوجه) : فالأشكال التي يبنيها الناس ، سواء في الخيال أو على الأرض ، تنشأ في إطار نشاطهم المنخرط ، في السياقات العلائقية المحددة لانخراطهم العملي مع محيطهم ... باختصار، لا يستورد الناس أفكارهم أو خططهم أو تصوراتهم العقلية إلى العالم، لأن هذا العالم نفسه، على حد تعبير ميرلوبونتي (1962: 24)، هو موطن أفكارهم . فقط لأنهم يسكنون فيه بالفعل يمكنهم التفكير في الأفكار التي يفكرون بها. (1995: 76) نجح إنجولد في زعزعة أي تمييز بدائي قائم على الإدراك بين أشكال الحياة البشرية وغير البشرية من خلال إبراز الارتباطات العملية المستمرة (والانسحابات)، والطوارئ والمعرفة التي تجعل الحياة ممكنة (ينظر أيضًا إنجولد، 2000).

إن البشر، مثل العديد من الآخرين ، "يتصرفون للتفكير" بدلاً من التفكير من أجل التصرف (ينظر ثريفت، 1999: 297). ومع ذلك ، وعلى الرغم من ما هو بالتأكيد وسيلة جذابة لإعادة تصور ممارسات المظاهر الطبيعية ، فهناك شعور بأن إنجولد يخاطر برومانسية "أرضية" إلى حد ما من خلال التأكيد على الصفات الإقليمية لـ "السكن" (ناهيك عن "الوطن" ينظر ثريفت، 1999). من بعض النواحي ، عدنا إلى البشر الذين يعيشون ويقيمون "في" المظاهر الطبيعية ، التي تخاطر هي نفسها بأن تصبح غير تاريخية ، والأهم من ذلك ، جغرافية . إن المحلية التي تتسم بها هذه المظاهر الطبيعية المأهولة تظل إشكالية في هذا العمل . ومن المهم ، إذن ، ألا تصبح المساكن وسيلة للعودة إلى الحس المحلي والحاضري للمظاهر الطبيعية والمكان . (ينظر أيضًا ميتشل ، 2001، حول مخاطر الخلط بين المظاهر الطبيعية كونها إنجازات محلية فحسب.)

وربما يكون الأمر الأكثر أهمية هو أن الجمع بين المساكن الهايدغرية ومفهوم ميرلوبونتي عن عالم الحياة هو الذي يميل ، على الرغم من زعمه بأن الأولويات الوجودية الديكارتية تنعكس (إنجولد، 2000: 169)، إلى إعادة تثبيت التسامي البشري وبالتالي فتح خطوط الصدع القديمة بين البشر وبقية العالم . وبالنسبة

لدولوز وغواتاري ، هناك تقوى في ظاهراتية ميرلوبونتي التي تتعرض لهذا النوع من المخاطر (1994: 178). كما يلخص راجمان شكوك دولوز: إن فكرة ميرلوبونتي عن الجسد ما تزال تحمل تقوى غريبة ، مرتبطة بحلم بتجربة أصلية أو أوردوكسا... من ناحية أخرى ، فإن "وجود الجسد" ما يزال يشكل "الوجود الحقيقي" .

إن الإحساس الذي يستخرجه المرء من التصورات المشتركة والتأثيرات الشخصية ، أو من فضاء التمثيل وإعادة تحديد هوية الأشياء ، لا يؤدي إلى توجه بيني في العالم ، بل إلى منطقة مجنونة من عدم التحديد والتجريب والتي قد تنشأ منها اتصالات جديدة . (2000: 8-9) وهناك طريقة أخرى للتعبير عن هذا التمييز وهي إبراز جودة الصيرورة في فلسفة دولوز، على النقيض من التوجه إلى الوجود الذي هو حاضر في الكثير من الأعمال الظاهراتية (والذي يأتي بالتأكيد في المقدمة في المحاولات البيئية لتوضيح العمل الظاهراتي: ينظر أبرام، 1996) .

وباختصار، فإن النصوص النشطة التي تشارك في صنع المظاهر الطبيعية ، بهذا المعنى الديلوزي، تجريبية وليست تحليلية . وعلى نحو مماثل ، فهي تدور حول المشاركة المستمرة والنشطة والاتصالات / الانفصالات بدلاً من الرؤى الباردة والبعيدة . وعلاوة على ذلك ، فإنهم في انخراطهم النشط ، حريصون على عدم تصفية هذه الانخراطات من خلال الشروط (المسبقة) الظاهراتية : إذ يُقال **إن لا شيء يحتاج إلى أن يظل دون تغيير**. وهذا يعني أننا بحاجة إلى أن نتعلم كيف نضع ثقتنا في العالم الذي لا يصنع الفكر فحسب ، بل ويجعل الفكر فعّالاً أيضاً. أريد أن أنهي بذكر بعض التداعيات المترتبة على هذه الحجج فيما يتعلق بسكنى المظاهر الطبيعية .

الخاتمة والتداعيات

التداعيات الأولى تتعلق بالطرق التي تمثل بها التفكير في الأجساد البشرية والتجسيدات وممارستها . وهناك الكثير الذي يشترك فيه هذا مع الأدبيات التي تتحدث عن الرؤية المجسدة والتي تحاول إعادة تحسس الرؤية من خلال إعادة صياغتها كتجربة جسدية حسية . فالرؤية لا تكون أبداً بمنأى عن مشاهد ومواقع الرؤية . فهي لمسية ، وبهذا المعنى ، متحركة (ينظر تاوسيج، 1993). ولكن من المهم أن نضيف أن تجسيد الرؤية ليس مجرد إضافة جسد بشري جاهز إلى العين أو إلى الذات . وكما سعى ثريفت إلى توضيح ذلك ، فإن هذا تجسيد ليس ثابتًا بالتأكيد (ولا يشير بأي حال من الأحوال إلى جسد أساسي)، ولكنه عملية تتضمن مجموعة من الكفاءات المحددة : هذا ، إذن ، تجسيد يتم طيه في العالم بفضل عواطف الحواس الخمس والتناغمات الثابتة الملموسة لممارسات معينة ، التي تنطوي دائمًا على **مواقف جسدية متناغمة للغاية حيث تتحرك الأجسام في علاقة مع بعضها البعض** ؛ طرق المشي ، والوقوف ، والجلوس ، والدفع ، والسحب ، والرمي ، والالتقاط ، كل منها بمواردها الثقافية الخاصة . (1999: 314)

إن التفاصيل (والأنواع) مهمة ، ومن الصحيح أن نقول إن الاندماج في جسد مختلف يعني العيش في عالم مختلف (هايلز، 1995: 56). وهذا هو بالضبط ما تحاول "تعلم التأثر" لدى لاتور (2001) استحضاره . فمع تفاعل الأجساد (وليس فقط الأجساد البشرية على الأرجح) مع العالم ، يتم اكتساب أجزاء الجسد ونظيراتها الدنيوية . ومن المهم أن نوضح ، إذن ، أن تفاصيل الجسد بعيدة كل البعد عن كونها أموراً مغلقة . وعلى غرار شكوك دولوز المحيطة بالظاهراتية ، هناك خطر العودة إلى وجود تقسيم ، لا يستند هذه المرة إلى الإدراك المتفوق أو القدرات اللغوية ولكن إلى الكفاءة المجسدة (ينظر كالون ولاو، 1995، لمراجعة الوسائل التي من خلالها يتم تبرير التمييز على أساس النوع). ولكن مثل هذا الخطر لا يشكل مشكلة إلا عندما

يظل الغرض من العلوم الاجتماعية والجغرافيا الثقافية تحليلياً بحتاً (الاستمرار في طرح السؤال ، على سبيل المثال، حول ماهية الجسد ، بدلاً من محاولة معرفة ما يمكن أن يفعله الجسد : ينظر بروبين، 1996: 41). وعندما يُنظَر إلى التجسيد كونه إنجازاً عملياً مستمراً ، أو حتى موقفاً سياسياً / أخلاقياً ، فإننا نستطيع أن نعود إلى التفاعل ـ ولكن من دون فكرة مسبقة عن الحدود التي تحدد المتفاعلين . وهذا إذن شعور مختلف بالتفاعل عن ذلك الذي نسبته إلى التكتونيات الطبيعية . إنه شعور بالاختلاف الطبيعي والثقافي من دون جدران ، وهو وسيلة للتخلي عن الخرائط الأساسية للذاتيات السياسية المستقلة من دون اختزال العالم إلى اللامبالاة (ينظر أيضاً واتمور، 1997). إن هذا يشكل فرصة ممكنة لتأجيل الطبائع التي ليست عالمية ، ومقدرة مسبقًا ، ولكنها تحتفظ بالقدرة على الاختلاف .

والنتيجة الثانية تترتب على هذه الحجة . فمن غير المرجح أن تكون المساحات غير البشرية محصورة بأفعال بشرية (ناهيك عن الأفكار). كما أنها لا توجد "هناك" لا، في انتظار إعادة تقديمها هنا. ويتلخص التوجه الأكثر عملية في الاعتراف بأن المحاولات الرامية إلى إشراك المساحات غير البشرية سوف تتسم دائمًا بالتعقيدات غير الكاملة ، وسوف تكون أمورًا غير مترابطة . وكما أظهر لاتور (2001) بمهارة ، فإن المساحات غير البشرية قد تتشابك في لحظة واحدة فقط لتتطور، من خلال قدرتها على التفاعل الاجتماعي الديناميكي ، إلى أنواع أخرى من المساحات في اللحظة التالية . وقد كان هذا واضحًا بشكل خاص في المظاهر الطبيعية الغذائية الصناعية والزراعية الحديثة (ينظر واتمور، 1997) وفي المظاهر الطبيعية الخطرة التي تتسم بالأحداث الفائقة التوصيل (كلارك، 1997).

في ممارسات المظاهر الطبيعية اليومية ، غالبًا ما يعترض غير البشر على القصص والأدوار ، إن التحديات التي تواجه الممارسة الفكرية والسياسية كانت وستظل تتلخص في تعلم كيفية السماح لغير البشر (إلى جانب البشر الذين اعتادوا على أن يكونوا مجرد أشياء صامتة) بالاعتراض بشكل أكثر تكراراً في تلك البيئات التي لم تعتد على الإبداع غير البشري . وينبغي التأكيد على أن هذه ليست مسألة تمثيل ، بل هي أقرب إلى المشاركة الحوارية (على الرغم من عدم الشعور بأن مثل هذه المشاركة لابد وأن تؤدي بالضرورة إلى إجماع أو اتفاق : ينظر موفي، 2000). ويتطلب تحقيق هذه الحساسية النوع الأكثر مرونة من الاستشعار الذي ذكرناه آنفاً ، وبناء المعرفة والتعلم من أجل التأثر.

والقضية الأخيرة هي **الأخلاق** . في حركات المظاهر الطبيعية التي كانت مستنيرة إلى حد كبير بسياسات التمثيل ، كان الهدف غالبًا هو إشراك الجماهير الغائبة (الطبيعة ، والعمال البشريين) أو الكشف عن حيلة القوة الاجتماعية . كان أنصار البيئة على وجه الخصوص حريصين في السنوات الأخيرة على تمثيل الغائبين المتنوعين عن مسابقات المظاهر الطبيعية (بما في ذلك غير البشر والذين لم يولدوا بعد). وبمجرد تمثيلهم ، يمكن للموضوعات السياسية الجديدة أن تشارك (حتى ولو عن بعد ومن خلال المتحدثين باسمها) في المداولات حول الوسائل والغايات . ورغم أنه لم يكن الهدف من هذا الفصل تقويض مثل هذه الاستراتيجيات التمثيلية ، فقد بدأت الحجة تشير إلى أن سياسات السكن قد تحتاج إلى إدراك حدود (وحتى ما أسماه دولوز إهانة) التحدث نيابة عن الآخرين وعنهم . ويرجع هذا جزئيًا إلى أن تعقيدات الحياة تجعل مثل هذا التشفير المكاني الأنيق للذات والآخرين إشكاليًا (ينظر واتمور، 1997). إن السبب في ذلك يرجع أيضاً، كما أوضح فاريلا (1999)، إلى أن السياسات التمثيلية تميل إلى نسيان حقيقة مفادها أن أغلب حياتنا المعاشة تتسم بالسلوكيات الماهرة والخبرة الأخلاقية العملية وليس المداولات الأخلاقية المجردة . ويشير أبرامز إلى نقطة مماثلة في بنائه الدقيق لأخلاقيات حماية البيئة ، على الرغم من الاحتفاظ بقدر معين من التقوى والشعور بالطبيعة البدائية في هذه الرحلة الظاهراتية . وعلى نحو مماثل ، ومع تزايد صعوبة الحفاظ على تقسيمات

الطبيعي والاجتماعي ، فإن فكرة وضع "عقد طبيعي" تصبح أكثر صعوبة في التصور (وهي المشكلة التي لا تحلها حجة سيريس عام 1995 إلا جزئياً) . إن الجمع بين هذه النقاط يبدأ في التأكيد على الوصية الديلوزية التي تقضي بـ "تجاوز هوياتنا الاجتماعية ورؤية المجتمع كونه تجربة وليس عقداً" (راجمان، 2000: 20).

إن الخطر هنا هو أن الذات الديكارتية المجردة التي تفكر قد تختفي فقط لتحل محلها فاعلة أخلاقية فردية (بشرية) تجريبية وراغبة ومجردة بنفس القدر (ينظر واتمور، 1997: 40). إن مثل هذا الخيال يحجب "شرطية المشاركة الحوارية من حيث العمل الدنيوي للحياة" (1997: 40). إن هذه المظاهر الطبيعية التي يعيش فيها الأحياء هي التي توفر شيئًا ما مثل الشعور الموزع بالوكالة ، والشعور بالترابط والاعتماد الجزئي ، و"فنون الاتصال" الأكثر تجريبية وتشخيصية والتي تتحرر من الخرائط المترسخة للمظاهر الطبيعية التقليدية المحدودة (الأقاليم، والأحياء، والأجسام، والمناطق : ينظر واتمور، 1997). وبهذا المعنى ، تتطلب المظاهر الطبيعية المأهولة جغرافية تجريبية ، تعمل من المظاهر الطبيعية كما هي معيشية ، وتسعى إلى تطوير أشكال تقدمية من السكن من خلال المشاركات العملية . من الناحية الأخلاقية ، ينبع توسيع الاهتمام من ممارسات وتفاعلات المظاهر الطبيعية - والتي يجب التأكيد عليها ، والتي تنبع من المهارات العملية للمظاهر الطبيعية وليس من المداولة أو إنتاج قواعد عالمية . وبالتالي ، فإن "علاقة المثقفين بمثل هذه "الحركات" أو "عمليات الخضوع" يجب أن تتغير، من دور "تمثيلي" إلى دور "تجريب" ، وتحرير "الخيال الاجتماعي" من تمثيل أي شيء معطى، سابق، أصلي" (راجمان، 2000: 101).

لقد مكنني المسار الذي سلكته عبر التكتونيات والعلامات إلى الاتصالات ، في ظاهر الأمر، من إزالة شرط لغة السياسة الطبيعية . في الواقع ، ربما يكون شرط الوصل غير ذات صلة . ما هو مهم هو التحول من التأجيل إلى الطبيعة الأولى (أو الطبيعة الثانية) ، إلى التأجيل والاختلاف بين الطبائع . يأخذنا الأخير إلى ما هو أبعد من مشروع تمثيل ديمقراطي ليبرالي . إلى حيث يكون التواصل أقل سهولة ، على الرغم من أن الحياة العادية مع الطبيعة تشير إلى وجود المزيد من الموارد لسكن المظاهر الطبيعية أكثر مما قد نميل إلى إدراكه . أفترض أن **مهمة الجغرافيا الثقافية** هي التعامل مع الممارسات اليومية للطبيعة الحيوانية والنباتية والجيوفيزيائية ، بكل تعقيداتها الجغرافية ، من أجل استعادة ماهية هذه الموارد وكيف يمكن أن تكون مفيدة لإمكانيات أخرى ، بالطبع ، دون السعي إلى الحصول على الكلمة الأخيرة .